الفصل الرابع

دور الكرد في الحياة العلمية

بلغت الحياة العلمية في مصر وبلاد الشام إبان عهد المماليك البحرية ذروة الاتساع والازدهار، حيث برزت التخصصات العلمية، وزخرت مجالس العلم والأدب بالعلماء والأدباء في شتى المجالات؛ ما نتج عنه ظهور طبقة من العلماء والكتاب، وجذبت النهضة الفكرية التي شهدتها القاهرة ودمشق وبعض المدن الأخرى العلماء من المشرق والمغرب أولئك الذين أوصلوا التطور الحضاري إلى درجة عظيمة من النضج والرقي، وذلك يتفاعل جهودهم العلمية مع النتاجات العلمية والأدبية التي تراكمت خلال القرون السابقة، فضلاً عن ما أوجده التلاقح الفكري والاحتكاك بالثقافات الأخرى.

شارك علماء الكرد وأدباؤهم مشاركة فعالة في تنشيط اليقظة العلمية بمصر وبلاد الشام، فإلى جانب غلبة خاصية الشجاعة والحمية على شهرة الكرد في العصر الإسلامي، اثبت علماؤهم طوال تاريخ الإسلام الحضاري مقدرة فائقة في تحصيل مختلف العلوم العقلية والنقلية وتوصيلها، وبرعوا فيها ولاسيما إبان حقبة البحث إذ إنه بعد سقوط الدولة الأيوبية تقلص الدور الأساسي والعسكري للكرد في مصر وبلاد الشام نسبياً ووجهوا بمهاراتهم نحو تحصيل العلوم فضلاً عن النهوض بملكاتهم في البحث والتأليف بغية إثراء العلوم والآداب الإسلامية، فظهر بينهم علماء إجلاء كان لهم أثرهم الكبير في إغناء المكتبة الإسلامية بمصنفات في مختلف مجالات المعرفة السائدة آنذاك.

وبإمكان البحث تقسيم المجالات العلمية التي ساهموا في تطويرها على العلوم الآتية:

أولاً. العلوم الدينية

آ. علوم القرآن

تعد علوم القرآن من أهم العلوم الإسلامية وذلك لتخصصها بدراسة القرآن الكريم كلام الله المنزل وحياً على الرسول (ﷺ)، كونه المصدر الأساسي الذي يستسقى منه الأحكام الشرعية، لذلك لم يحظ كتاب بمثل العناية التي حظي القرآن بها، إذ ظهرت علوم عدة تعالج قراءاته وتفسيره ومحكمة ومتشابهة وناسخة ومنسوخة، ومجالات أخرى واسعة التي برع فيها بعض علماء الكرد في مصر وبلاد الشام وخدموا بها الحضارة الإسلامية.

١. علم القراءات

هو علم يعرف به أحوال ألفاظ القرآن الكريم من حيث النطق بها[١]، ويبحث فيه عن عن صور لنظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة[٢] ((وله أيضاً استمداد من العلوم العربية والغرض منه تحصيل ملكة الاختلافات المتواترة وفائدته صون كلام الله تعالى عن تطريق التحريف والتغيير))[٣]، ونظراً لاختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها، ظهر اختلاف في القراءات القرآنية[٤]، عني عني العلماء بهذا الجانب من علوم القرآن، واشتهر من ينهم مقرئون ولكن لا يسمى كل قارئ قرآن مقرئاً حتى حفظ أنواع القراءات إلاّ إذا أحكمها بالسماع والمشافهة[٥].

أولى علماء الكرد القاطنون في مصر وبلاد الشام، خلال فترة البحث، عناية فائقة بعلم القراءات وظهر من بينهم عدد ممن مهروا فيه وكانت إليهم رحلة طلاب علم القراءات في مختلف الآفاق الإسلامية، ومنهم المقرئ ضياء الدين أبو العباس الاسعردي الفارقي الذي قرأ القراءات وتصدر للإقراء وكان خيراً فاضلاً توفي بالقاهرة سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م[٦]، واشتهر واشتهر في تلك الحقبة ايضاً المقرئ الملقن الياس بن علوان بن ممدود الاربلي الذي قرأ في العراق وديار بكر وتصدر للإقراء بالجامع الأموي مدة من الزمن، ويذكر المؤرخ الذهبي في كتابه الخاص بترجمة القراء بأنه ((كان حاذقاً بتعليم القرآن يقال ختم عليه اكثر من ألف نفس))[٧]. ولكن ذكر في كتاب آخر وبعد أن أدرجه ضمن وفيات سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م بأنه يقال ختم عليه اكثر من أربعة آلاف نفس[٨]. وكان ذلك سبباً في بروزه بين قراء

---

[١] الأنصاري، اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم، شرح وتعليق : عبدالله نذير احمد (بيروت: ١٩٩٨)، ص٨٨.

[٢] طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ج١، ٣٤٧.

[٣] القنوجي، أبجد العلوم، (بيروت: د.ت)، ج٢، ص٤٢٨.

[٤] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: ١٣٧٦هـ)، ج١، ص ٣١٨.

[٥] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، (بيروت : ١٩٧٧)، ص٢٥٧.

[٦] أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٤٠ " الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٦١-٦٧٠)، ص ص١٩٢-١٩٣ " الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٢٤٦ " السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص٨.

[٧] معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، (القاهرة، ١٩٦٢)، ج٢، ص٥٤٩.

[٨] تاريخ الإسلام، (٦٧١-٦٨٠) " ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص ص٩٧-٩٨.

عصره، حيث قلما وجد مقرئ بهذا النشاط والذي أدى إلى إكثار الطلبة عليه وبطبيعة الحال هذا راجع إلى إتقانه لعلم القراءات وشهرته العلمية.

ومن العلماء الاربيليين الذين استوطنوا دمشق نبغ الشيخ مجد الدين الكردي الزرزاري الاربلي الذي كان إماماً ومدرساً إلى جانب كونه خيراً وعارفاً بالقراءات، واشتهر بحسن السمعة والأخلاق توفي سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م[١]. أما في مصر فذاع صيت المقرئ محمد بن عثمان الكردي الزرزاري الأربلي المنعوت بالضياء الذي طلب علم القراءات في القاهرة والإسكندرية وتوفي سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م ووصف بأنه ((كان ثقة ثبتاً حجة، حافظاً زاهداً، عابداً كثير الخير، مواظباً على العلم والعمل))[٢]، ومن القراء ممن أولوا التجويد عناية كاملة الإمام شهاب الدين الأسعردي المقرئ المعروف باللبان الذي كانت له حلقة للقراءات ويعدّ من خيار الشيوخ فضيلة وتواضعاً وديناً ومعرفة بالقراءات، توفي سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م وهو والد الفقيه شمس الدين ابن اللبان الذي نبغ في مصر[٣].

وشارك علماء الهكاريون الكرد في مختلف مجالات العلوم الإسلامية مشاركة فعالة ولا سيّما في بلاد الشام إبان العهد المملوكي، منهم المقرئ الزاهد ابراهيم بن داؤد بن نصر الهكاري الذي جاب مدينتي حلب وحماه طلباً للقراءات واقرأ بدمشق مدة وكان حسن الخلق كثير التعبد والتواضع توفي سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م[٤].

وأما المقرئ تقي الدين المقصاني الجزري فيعد شيخ قراء عصره ويذكر أنه قرأ القراءات في حدود سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م وأدرك كبار قراء عصره، حيث استوطن دمشق وأقرأ بالرباط الناصري مدة من الزمن ثم ولي الإقراء والإمامة بدار الحديث الأشرفية[٥]، وكان عارفاً بالقراءات السبع[٦] وعنده ورع واجتهاد ويذكر انه كان ينقل من شواذ القراءات كثيراً توفي سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م[١].

---

[١] الذهبي، م.ن، ص ص٢٦٩-٢٧٠ " الكتيي عيون التواريخ، ج٢١، ص١٨٣ " الاسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص١٥٤ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٥٨.

[٢] أبن مكتوم، ذيل القراء الكبار منشور مع كتاب معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، تحقيق : محمد سيد جاد، الحق (القاهرة : ١٩٦٢)، ج٢، ص ص٦١١-٦١٢.

[٣] الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج٢، ص٥٩٨ " ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص٤١.

[٤] ابن حجر، م.ن، ج١، ص ص٢٧-٢٨.

[٥] الذهبي، مصدر سابق، ج٢، ص٥٧٩ " ابن رافع السلامي، تاريخ علماء بغداد، ص١٥٨، ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج٦، ص٣٢.

[٦] القراءات السبع : القراءات التي جمعها أبن مجاهد (ت ٣٢٤هـ/٩٣٥م) وذلك باختياره الخاص لقراءة أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل في كل مصر وجه إليها مصحف، ومن أولئك الشيوخ أخذت القراءات السبع " ينظر : أبن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق : شوقي

وجاء في بعض المصادر أن التقي الجزري واظب على إقراء القرآن الكريم بالعراق والشام لأكثر من خمسين سنة[٢]. ووصف بأنه ((كان بصيراً بالقراءات قيما بمعرفتها، واقفاً على غوامضها، يفهم شيئاً من عللها، وله اعتناء كامل بالأداء والمخارج))[٣]، نخلص مما سبق إلى أن المقرئ تقي الدين الجزري، يعدّ من كبار القراء في العهد المملوكي وكان أصله من جزيرة ابن عمر ولكن رحل في طلب القراءات واستقر أخيراً في بلاد الشام في منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي اشتهر مقرئاً والى حين وفاته أي لمدة تقارب ثلاثاً وستين سنة وفضلاً عن انشغاله بالقراءات باشر نيابة الخطابة والإمامة بالجامع الأموي كما نوهنا في الفصل السابق[٤].

كان إسماعيل بن سعيد الكردي المصري عارفاً بالقراءات إلى جانب علمه بالفقه والنحو والصرف ويذكر أنه كان حسن التلاوة، ولكنه كثير الهزل فتهاجر بالمعاصي ورمي بالزندقة وحكم القاضي المالكي تقي الدين الاخنائي سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م بإباحة دمه وقتل في نفس السنة[٥]، كما واشتهر بالقاهرة ايضاً المقرئ تقي الدين الفارقي الذي قام بتدريس علم القراءات ببعض المدارس إلى أن وافاه الأجل سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م [٦]. وفي تلك الحقبة برز ببلاد الشام، المقرئ المجود احمد بن يحيى شهاب الدين الجزري الذي اخذ علم القراءات عن مشايخ عصره، حتى مهرَ فيها وانتفع به الناس في دمشق توفي سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م ووصف بأنه كان ((من خيار الناس ديناً وعقلاً وحياءً ومروءة وتعففاً))[٧].

ضيف (القاهرة : ١٩٨٠)، ص ٤٥ " أحمد مختار عمر، عبدالعال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية (الكويت : ١٤٠٨هـ)، ج١، ص ص ٧٣-٧٤.

[١] الذهبي، ذيول العبر، ج٤، ص ص٣٦-٣٧ " الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص٤٤٨ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٣ " النعيمي، الدارس، ج١، ص٩٠.

[٢] الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص ٤٤٨ " ابن رافع السلامي، تاريخ علماء بغداد، ص ص١٥٨-١٥٩ " المقريزي، السلوك، ج٢، ص ص ٤٩١-٤٩٢.

[٣] الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج٢، ص ص٥٧٩-٥٨٠ " ابن رافع السلامي، م.ن، ص١٥٨.

[٤] ينظر ص (١٥٤) من هذه الأطروحة.

[٥] الصفدي، مصدر سابق، ج١، ص٣٠١ " أبن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ص٣٩٠-٣٩١، المقريزي، مصدر سابق، ج٣، ص٣٢.

[٦] ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج١، ص٤٢٧.

[٧] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ص٣٥٤-٣٥٥ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٨٦.

ومن علماء الكرد الزرزاريين شرف الدين الزرزاري المنعوت بضياء الدين الذي استقر بالديار المصرية وكان مولده بضمان[1] وقرأ القران العظيم بالروايات وتصدر للإقراء بالجامع الظاهري[2] وانتفع به الناس توفي سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م وكان من العلماء الصلحاء كثير الفضائل[3]. كما ويعد المقرئ محمد بن الحسين الأربلي نزيل القاهرة من علماء القراءات، وكان معاصراً للمؤرخ الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) الذي ذكر بحقه انه كان عارفاً بفن القراءات ومحققاً للتجويد والأداء وولى الإقراء بالفاضلية[4]وغيرها[5].

ومن علماء الاربيليين الذين اشتهروا في أواخر عهد المماليك البحرية، المقرئ محمد الأربلي الشافعي المعروف بالإسكافي الذي اقرأ بحلب بالسبع مدة طويلة، وتوفي في سبعينيات القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، أخذ عنه والده وأناس آخرون بحلب علم القراءات[6]، وجمع المقرئ عمر بن حمزة الاربلي نزيل صفد بين علم القراءات وطلب الحديث وكان مقرئاً للسبع وكتب الكثير توفي سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م ويعد من الفضلاء[7].

والذي يخلص إليه هو أن علماء الكرد لم يقطنوا فقط في المدن الرئيسة كالقاهرة ودمشق بل مارسوا نشاطاتهم العلمية في مدن أخرى بلاد الشام.

---

(١) ضمان : بلدة تقع في نواحي البفنية بحوران الشام. أبن عبدالحق، مراصد الإطلاع، ج١، ص ٤٨١.

(٢) الجامع الظاهري : يقع خارج القاهرة كان موضعه ميداناً أنشأه الملك الظاهر بيبرس جامعاً في حدود سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م " المقريزي، الخطط، ج٢، ص ص٢٩٩-٣٠٠.

(٣) ابن مكتوم، ذيل القراء الكبار، ص ص٦٢٤-٦٢٥٤، الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٢١٠٤، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص١٤٩.

(٤) الفاضلية : ويقصد دار الحديث الفاضلية التي كانت تقع بجانب الجامع الأموي بدمشق المعروفة بالقاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني وزير السلطان صلاح الدين الأيوبي (توفي ٥٩٦هـ/١٢٠٠م). النعيمي : (الدارس، ج١، ص ص٦٧-٧١، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق١، ص٣٣٢، هامش رقم (١).

(٥) معرفة القراء الكبار، ج٢، ص٥٨٢.

(٦) ابن حجر، مصدر سابق، ج٥، ص٨٦.

(٧) ابن حجر، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٣.

٢. علم التفسير

يعنى علم التفسير بمعناه الواسع بمعرفة نزول الآيات مع شؤونها وأقاصيصها وأسباب نزولها وترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وتعرف ناسخها ومنسوخها[١]. وذلك لغرض حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية، ويعدّ من أشرف العلوم لأن موضوعه القران الكريم[٢]. وغايته إيضاح وتفسير كلام الله تعالى وتبيانه وبيان مفهوم الكلمات والعبارات الموجودة في القرآن[٣]. أي أنه هو العلم الذي فيه معنى كلام الله تعالى[٤]. تعالى[٤].

ومن علماء الكرد ممن تصدوا للتفسير قاضي القضاة علم الدين الاخنائي المتوفي (٧٣٢هـ/١٣٣٢م) الذي حسب ما ذكره بعض المؤرخين قد شرع في تفسير القرآن وجملة من صحيح البخاري وكان ذكياً ومحباً للفضائل[٥] لا يعرف هل كمل تفسيره أم لا ؟ ولكن ما نفهمه من ذلك الإشارة التاريخية هو أنه بدأ بتفسيره ولكنه توفي ولم يكمله بدليل أنه لو فرغ في تصنيفه لذكره المؤرخون من جملة مصنفاته، ولكن اكتفوا فقط بالتلميح إلى شروعه فيه.

ومن مشاهير الكرد الذين اهتموا بعلم التفسير في الديار المصرية الشيخ محمد بن احمد بن اللبان الاسعردي[٦] الذي عُرف أيضاً بالمصري والدمشقي كان له مصنفات عدة في في الحديث والفقه وكتب تفسيراً ولكن توفي ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ولم يكمله وصنف كتاباً آخراً

---

[١] التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبدالبديع، (القاهرة : ١٩٧٢)، ج١، ص٢٤.

[٢] حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إعادة الطبع، (بغداد : د.ت)، ج١، ص٤٢٧.

[٣] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (القاهرة : ١٩٧٦)، ج١، ص ١٤٠.

[٤] عبد القهار داؤد العاني، دراسات في التفسير والمفسرون (بغداد : ١٩٨٧)، ص٥.

[٥] مساعد مسلم آل جعفر، محي هلال السرحان، مناهج المفسرين، (بغداد: ١٩٨٠)، ص٩.

[٦] الأسعردي : نسبةً إلى مدينة اسعرد التي تقع بالقرب من نهر دجلة جنوب مدينتي آمد وميافارقين، وميافارقين، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٣٨٩ " تجدر الإشارة إلى أن المدينة كانت في العصر الإسلامي يقطنها ابناء قبيلة الحاربوخي الكردية، ينظر : الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ٤٩ " حكيم أحمد مام بكر، الكرد وبلادهم عند البلدانيين والرحالة المسلمين (٢٣٢-٢٢٦هـ/٨٤٦-١٢٢٩م)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، مطبوعة بالكومبيوتر، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة صلاح الدين (أربيل : ٢٠٠٣)، ص ١٣٠.

بعنوان (متشابه القران والحديث)، ونظراً لأن أبن اللبان كان متأثراً بفكر الصوفية نجد أنه تكلم في هذا الكتاب على بعض الآيات والأحاديث المتشابهات على طريق الصوفية[١].

ومن المرجح أن الكتاب الأخير هو كتاب (إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المشتبهات)[٢] نفسه الذي ذكر أنه صنف من قبل أبن اللبان[٣]. وصنف أيضاً كتاباً خاصاً حول الآية الكريمة ((الرَّحمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى))[٤] وهي من الآيات المشكلة الواردة في صفات الله تعالى، سمى كتابه (رد المتشابهات إلى الآيات المحكمات)[٥] وكان له أيضاً كتاب (رد المتشابه إلى المحكم) من الآيات القرآنية وكان يبدأ الكتاب بحمد الله الواحد بذاته وصفاته وذكر فيه متشابهات القرآن الكريم[٦]. كما وصفت كتابه متشابه القرآن وهو مختصر[٧].

ورد ذكر كتاب آخر لأبن اللبان وسم بـ (ردا الآيات المتشابهات) ذكر فيه الحكمة من ورود الآيات القرآنية في متشابه الصفات بقوله : ((من المعلوم أن أفعال العباد لابد فيها من توسط الجوارح مع أنها منسوبة إليه تعالى، وبذلك يعلم أن لصفاته تعالى في تجلياتها مظهرين : مظهر عبادي منسوب لعباده وهو الصور والجوارح الجسمانية، ومظهر حقيقي منسوب إليه، وقد أجرى عليه أسماء المظاهر العبادية المنسوبة لعباده على سبيل التقريب لإفهامهم والتأنيس لقلوبهم..))[٨].

---

[١] ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص ص٢٠٥-٢٠٦، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٦٣-١٦٤.

[٢] أبن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص ص ٢٠٥-٢٠٦ " أبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ص ١٦٣-١٦٤.

[٣] ورد ذكر عنوان الكتاب أيضاً بصيغة (إزالة الشبهات عن الأحاديث والآيات)، ينظر على شواخ إسحاق، معجم مصنفات القرآن الكريم، (الرياض : ١٤٠٤هـ)، ج٤، ص ١٠٩ " ينظر، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٧٢ " مصطفى الصاوي الجويني، أعلام الدراسات القرآنية، (الإسكندرية : ١٩٨٢)، ص٢٥٧.

[٤] سورة طه / الآية ٥.

[٥] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، القاهرة، ١٩٤١، ج٢، ص٨ " صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٢٨٣.

[٦] حاجي خليفة، مصدر سابق، ج٢، ص ص٨٣٧-٨٣٨ " مصطفى الصاوي الجوبيني، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

[٧] قاسم القيسي، تاريخ التفسير، (بغداد: ١٩٦٦)، ص ٩٦.

[٨] محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (القاهرة : ١٩٥٤)، ج٢، ص ص ١٩٣-١٩٤.